الشوف.. رضاه اللامنتهي

بقلم: أحمد عبد الجواد

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشوف ليست مجرد كلمة طرأت على ذهني فهاتفت من ارتاح لهم قلبي، لأخبرهم أني بصدد تجميع عدد من المقالات للكتابة عن تجربة ذاتية جدًّا، فَلَبَّوا النداء.. الشوف حالة من نور، مقام بسطه الله لفئة من عباده، فنظروا إلى الجبل، ورأوا ما أراد الله لهم أن يروه.

حين تريد الحكي عن موقف أراك الله إياه، ستتعطل الأقلام، ويقف العقل عاجزًا، فقط القلب هو من يستطيع أن يروي تلك المعاني، لعلي أحدثكم عن الدراويش الذين قابلتهم فأخبروني وأخبرتهم، أو عن المجذوبين، أو عن أهل الله، لعلي أتحدث إليكم عن أهل الحضرة، أو لأترك كل ذلك جانبًا.. سأتحدث عن النور كما أفهمه.

النور هو المصدر الكلي لمن أراد «الشوف» وهو نور السماوات والأرض، لنوره مشكاة القرب، والقرب في مصباح الأنس، والمصباح في زجاجة الرحمات، والزجاجة كوكب من رضاه، والكوكب يتقد من شجرة العشق، فلا هي شرقية المحبة، ولا غربية التجلي، هو الله.

لاسمه الأزلي خواص، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا، وتجمعت في «هو» سبحان «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ» سورةالنور ٣٥.

فمن أراد أن يُلبسه الله لباس العز والهيبة والقوة والمنعة، فعليه بأسمائه، ومن أراد الحب خالصًا فعليه باسم الأسماء: لفظ الجلالة.. المهيب.. القريب.. الجامع: الله.

ولطيب مسك الكلام عن المولى رائحة ما لها مثيل، عبق نبوة، أو نفحات الرحمة في الكعبة، أو غبار الملائكة، أو عطور الجنة، روائح شتى تختلط بك، وترتبط دائمًا بالمغفرة والرزق الكريم، فيا أيها الذين أرادوا الوصال، استأنسوا بجميلٍ لطيفٍ عظيمٍ رهيفٍ أُنْسُهُ، فلأنس الله وجيب للقلب لا يعرفه إلا من أحب.

وممن أحب رجال ساروا إليه حتى وفّاهم حسابهم، لا ينقص شيئًا من رحمات بره، فليس عليكم جناح أن تتحدثوا عن الله بحب..

«الله» لفظ الجلالة الأول، فيه سر عظيم، فليس له مثيل، ولا نظير، ولا شبيه، قد تجلى في ملكه وملكوته، وكلٌّ له طائعون.

الله هو مصدر الحب، وهو أصل كل خير، فهو الأول بعلمه، والآخر بقدرته، والظاهر بملكه، والباطن بملكوته، والغافر برحماته، تجلى في الأشياء، فما من صنيع إلا ويخبرك أنه: «قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد».

حين تتحدث عن الشوف، سترى طيورًا خضراء محلقة، روحًا هفهافة، أولادًا مخلدين، حورًا عين، فاكهة دانية قطوفها، سعادة مستمرة، فلا تعب ولا وجع ولا مرض، سلامهم الحمد، كلامهم الذكر، كل ما امتنعوا عنه للوصل فقد أوجبه لهم في جنات النعيم بما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر..

الشوف هو جنة الله في الأرض، وهو من البشارات لجنة عرضها السماوات والأرض، بل هي أكبر، فهذا عرضها فما بالك بطولها، وارتفاعها، ودرجاتها...؟! طبقات بعضها من فوق بعض، حيث الأبيض في كل مكان، والخير اللامنتهي.

ترى فيها الله مثل القمر في تمامه، لا تُضامون في رؤيته كما أخبر المحب الأكبر صلى الله عليه وسلم، لا تسوّل نفسك لك أمر سوء، بل تفكر في الطاعة والجمال وتعيش في الجميل أبدًا.

فيها يحدثنا الله بلغة الحب التي يفهمها كل الناس، فلا أحد ينكر قوة الحب، والحب دائمًا متعلق بالرحمة، والكل موصول بالله، مرتبط به، فهو الرحمن الرحيم، امتلك كل أسباب الرحمة وصنعها وجعلها من أسمائه، فتجلى من رحم.

وجلّ من وهبنا نزول وادي الرحمة المقدس، فحينها آتانا الله من عنده نار المحبة، فاقرؤوا آيات رحمته في الكون وفي كتابه، لعله يأتيكم بقبس من الرحمة، أو تجدوا في الرحم هدى، فَتَرَوْا وَتَسْمَعُوا وتشعروا بنوره، ويهبكم «الشوف».

obeikan.com